Brooklyn Eng/Ar 28 2/14/07 3:49 AM Page 1

قصيدة غنائية إلى بروكلين

> تحقيق وتصوير
دومينيك ميرل

الكاتب السياحي دومينيك ميرل من مونتريال يكتب لمجلة السياحة الإسلاميّة عادة تقارير عن مواقع غرائبيّة. ولكنه في هذه المرّة وقف قريباً من العالم الذي يعيش فيه. عابراً الجسر ليزور حيّه القديم.

الجسر ومانهاتن

Bridge with Manhattan in background

بروكلين

لعودة إلى جذور المرء غالباً ما تكون اللحظة الحاسمة التي تعلمك بأن رحلتك قد اكتملت. وقد جاءتني هذه اللحظة في تقاطع مونتاج وكلينتون في بروكلين هايت عندما سمعت صيحة يألفها القلب وكادت تجلب الدموع إلى عيني: "أوه! تنح عن الطريق، أيها المتسكع!" جاءت تلك التحية من سائق سيارة مع تلويح بيده تعبيراً عن الصداقة وابتسامة متبادلة بين السائق وأحد المشاة وهما يمضيان في طرق منفصلة. وبالنسبة لمن لم يولد هنا، أو له دراية بأهالي بروكلين، فإن تعبير "متسكع" هو كلمة رقيقة مخصصة للأصدقاء، وحتى الأقارب يمكن أن يشملهم ذلك في بعض الأحيان، ما لم تكن هناك بعض العداوة بالطبع. ومن الواضح فإن استعماله لتحية شخص ما لا تعرفه من الممكن أن يتسبب في بعض المشاكل الخطيرة.

من الصعب تحديد أصل هذا التعبير، لكن في

Brooklyn Eng/Ar 28 2/14/07 3:49 AM Page 2

أوائل القرن العشرين كان فريق "بروكلين دوجيرز" يعرف، بشكل غير رسمي، باسم (المتشردون الرائعون) الذي اختصر بعدها إلى (المتشردون). وكانوا ولا يزالون أشهر متسكعين في تاريخ بروكلين. وحتى يومنا هذا، فإن اسم والتر أومالي، المالك الذي نقل في العام 1957 فريق البيسبول من بيتس فيلد إلى المراعي الأكثر اخضراراً في لوس انجليس، يصفّ إلى جانب هتلر وجوزيف ستالين.

وفي بروكلين، لا بدّ للمرء من اكتساب الحق والاحترام في أن يسمّى متسكع. وهذا هو معنى الصداقة الحقيقية هنا. ولأول مرة منذ سنين كثيرة لا أستطيع تذكرها، شعرت كأنني متسكع حقيقي مرة أخرى.

وهناك العديد من الاحصاءات التي تدّعي أن واحداً من كل سبعة أمريكيين يمكن أن تجد أصله في بروكلين. هذه هي أول محطة لحمولة سفينة المهاجرين القادمين من أوروبا، ببساطة لأن هناك الكثير من الأراضي هنا، وبضمنها الأراضي الزراعية، بينما عقارات مانهاتن كانت أساساً نادرة وغالية. مزارعو بروكلين تولوا توفير المواد الغذائية للأحياء الخمسة في ذلك الوقت. وأما اليوم فإن الربط بين تعبيرا بروكلين والمزارعين يبدو وكأنه مفارقة.

اتخذت في عودتي إلى هنا، بصحبة زوجتي سوزان، أسلوباً فخماً. وكانت هذه هي رحلة زوجتي الأولى، بأن عبرنا جسر بروكلين من جنوب مانهاتن مشياً، وهي نزهة 45 دقيقة تقريبا. وتمّ ترتيب جدول أعمالنا من قبل شركة "وكالة فينتج نيويورك السياحيّة". وكان دليلنا مارك ليفي وابنه مات، وقد طعّما أوصافهما بتعابير تثير الدهشة، مثل: "شرق النهر ليس النهر". ومضى مارك مفسرا بأنه في الواقع مدخل بحري وجزء من نهر هدسون، ولكن بالطبع سوف يحطم ذلك كل أفلام العصابات التي تدور حول جثث ألقيت في النهر الشرقي.

الخط العريض التالي الذي جاء من مات: "الجزء الأول من بروكلين الذي سنتوقف عنده كان يسمّى في الأصل "جنوب بروكلين"، بالرغم من أنه في الواقع "شمال بروكلين"، ولكن هذا هو جنوب مانهاتن ومانهاتن تريد دائما أن تكون مركز الكون، ولا تزال كذلك، ولذا فحتى اليوم يعتقد بعض الناس الذين يعيشون في شمال بروكلين أنهم في جنوب بروكلن". هذا واضح بما فيه الكفاية.

لكن الواقع إن أول منطقة تحت الجسر معروفة باسم "دمبو" وهو مختصر لجنوب مانهاتن

جزيرة كوني ما تزال حية ونابضة

Coney Island, still alive and kicking

وبروكلين. وأسعار العقارات تقترب بسرعة من أرقام مانهاتن. وتم تحويل المخازن والصناعات القديمة المهجورة إلى شقق خاصة قيمة كل منها مليون دولار. أصبحت بروكلين مكاناً مفضّلاً للعيش في هذه الأيام، ودومبو هي المكان الأكثر أهمية.

بعد التوقّف عند مكتب بروكلين السياحي الذي افتتح حديثاً لالتقاط بعض الخرائط والنشرات، بدأنا جولة المشي، وخلال بضع دقائق سمعت صوتا يقول "تنح عن الطريق، أيها المتسكع!" وهي صيحة ترحيب تؤكد أن المرء في وطنه. بروكلين لا تؤذي قدميك فقط، بل وأحيانا تضربك في الوجه، مثلما فعلت الممثلة شير مع نيكولاس كيج في فيلم "المعتوه" الذي صوّر هنا في مرتفعات بروكلين.

مشينا إلى الحديقة الواقعة ما بين الشارعين الرابع والخامس حيث أشار مارك إلى بيت حجري قديم على بعد وصاح لافتا الانتباه: "لولا ما حدث هنا في 1776 أثناء معركة بروكلين، لربما كنّا جميعاً نتحدث الكندية اليوم".

"نحن من مونتريال، مارك" أجبت. فقال "حقا، فإنك على الأرجح على علم بذلك".

وحتى ذلك الوقت، إذا ذكر لي شخص معركة بروكلين لارتسمت في ذهني صورة مواجهة بين أسر الغوغاء أو عصابات الشوارع المتنافسة على النفوذ. لكن كما أوضح مارك، فقد حدثت هنا معركة هامة بين قوات جورج واشنطن وقوات الجيش البريطاني، وبينما كسب البريطانيون المعركة بالدرجة الأولى بسبب تفوّقهم العددي (حوالى 30,000 جندي مقابل 3,000)، فإن البطولة التي أبداها 400 من أفراد فرقة ميريلاند قوّت عزيمة الجيش الأمريكي.

احتلت القوات البريطانية المنزل الحجري القديم بينما بقي الميريلانديون يهاجمون مواجهين صعوبات لا تذلل. وقد قتل نصف الميريلانديين في المعركة لكن الشجاعة التي أبدوها كانت بمثابة انتصار ورفعت معنويات بقية جيش واشنطن.

هدم المنزل الحجري في العام 1890، ثم أعيد بناؤه باستخدام الكثير من الأحجار الأصلية في العام 1930، وهو مفتوح للجمهور اليوم، ومعروف رسمياً باسم "البيت الحجري القديم"، وهو يكشف عن مساهمة بروكلين في الحرب الثورية المجهولة لدى الكثيرين.

ركبنا الحافلة إلى منطقة بارك سلوب، وهي أكثر أحياء بروكلين جمالاً، حيث ترى صفوفا من الحجارة البنّية المحافظ عليها جيداً. وهذه أيضاً منطقة بروسبيك بارك وساحة الغراند آرمي بلازا التي تضم القوس التذكاري الفخم لتكريم الجنود والبحارة، وقد أقيم في عام 1902 لتكريم أبطال

Brooklyn Eng/Ar 28 2/14/07 3:49 AM Page 4

الحرب الأهلية. ويبدو القوس هائلا من جميع النواحي. كما هو حال البوابات والأقواس المهيبة في أوروبا. يوجد داخل منطقة الحديقة نفسها متحف بروكلين، حديقة بروكلين النباتية وحديقة بروسبيك للحيوان. وكلها وجهات سياحية من الدرجة الأولى.

بعد ذلك اتجهنا جنوبا (الجنوب الحقيقي)، باستخدام الأنفاق والحافلات، مارّين بعدد من المناطق الأخرى في طريقنا إلى جزيرة كوني، وهي المحطة الأخيرة للقطار. توقفنا في فلاتبوش الشرقية المعروفة بأنها نموذج للكاريبي نظراً لأعداد المهاجرين منه إلى الجزيرة، ثم فلاتبوش نفسها، التي اشتهرت من خلال كل تلك الافلام التي صورت بها على مرّ السنين.

يضم حيّ البورو بارك أكبر جالية لليهود الارثوذكس في الولايات المتحدة، وأما بنسونهورست، المحطة التالية، فهي مصغّر لإيطاليا في بروكلين.

كانت جزيرة كوني آخر محطة أنفاق، وبينما مدينة الملاهي هي مجرد هيكل صدفي لسنوات مجدها السابق، فإن المنطقة نفسها حية وبحالة جيدة. ركبنا حافلة بالقرب من شاطئ برايتون، الذي يشار إليه عادة باسم "أوديسا الصغيرة" لكونه يضم أكبر جالية روسية في الولايات المتحدة. توجد هناك مناطق تسوّق لا تجدون فيها إشارات بالإنكليزية أو تسمعون من يتكلم بها.

جولة قصيرة أخرى بالحافلة أوصلتنا إلى خليج "رأس الغنم"، حيث استقر أجدادي لدى أول وصولهم من إيطاليا في مطلع القرن العشرين. بعد عشاء سمك، رجعنا إلى جزيرة كوني لنستعمل قطارات الأنفاق عائدين إلى مانهاتن، وودعنا الليفيين.

في النفق، بقيت أفكّر بمشهد السيارة الشهير بين مارلون براندو وورد شتيغر في فيلم "على الجرف" عندما قال براندو: "كان بإمكاني أن أكون منافسا بدلا من أن أكون متسكعاً، وهو ما أنا عليه الآن". التفت إلى زوجتي فجأة، وقلت: "كان بإمكاني أن أكون متسكعا، بدلا من كاتب سياحي وهو ما أنا عليه الآن". أنا متأكد أنها لم تعرف أبدا ما كنت أتكلم عنه.

أمضينا يومينا الأخيرين في منطقة الحديقة المركزية في فندق باركر ميريديان على شارع 75 غربا. الفندق يواجه خطراً ثلاثياً: غرفتنا تطل على الحديقة المركزية، ومطعم اللوبي، نورما، أصبح فجأة يعرف بأنه أفضل محل للإفطار في المدينة، ومطعم البسترو الفرنسي "سيبي" على جهة الفندق في شارع 56، الذي أخذت سمعته بالازدياد بسبب ابتكارات وتقنيات مالكه الطباخ كلود سوليارد.

الفندق نفسه خضع لتصليحات بمبلغ 60 مليون، بما في ذلك خدمة مجانية للإنترنت فائقة السرعة في جميع الغرف البالغ عددها 730 غرفة، وكانت كلها مشغولة، وأكثر الضيوف هم من أوروبا.

قصة نجاح نورما هي أمر مذهل، ويعود الفضل الكبير في ذلك لبعض المقالات في صحف المدينة. المطعم الآن يعاني من كثرة الطلب على الإفطار، مما فرض عليه تمديد هذه الخدمة حتى الثالثة مساءً.

الليلة الأخيرة كانت وقتا للبذخ. حجزنا في سان دومينيكو، وهو واحد من أروع المطاعم الإيطالية في المدينة وفي أفضل مواقعها: الحديقة المركزية في الجنوب، مع نافذة تطلّ على كل من الحديقة ومبنى تايم-وارنر الرائع، حيث بعض الشقق الخاصة تتجاوز قيمتها حوالي 20 مليون دولار.

صاحب المطعم توني مي وابنته ماريسا يتواجدان في المطعم في أغلب الأماسي، وهم يتحدثون إلى الضيوف في محل أكل الطعام الأنيق ولكن الحار. الطباخة أوديت فادا تؤدي موسيقى المطبخ هناك لنحو ثماني سنوات. المقبلات تتراوح ما بين 15 إلى 25 دولاراً مع وجبات الطعام الرئيسية من حوالى 25 دولاراً إلى 40 دولاراً. وجميع الصحون التي جرّبناها كانت لذيذة. بعض الوجبات تبدو قيمها مرتفعة أكثر من المعتاد، ولكن الزيادة تذهب إلى فوائد المناظر التي توفرها النوافذ. وعشاء لاثنين يمكن أن يصل إلى 200 دولار، ولما كانت هذه ليلتنا الأخيرة، فقد تركت إكرامية بمبلغ 30 دولاراً. لم أرغب في جعلهم يفكرون بأنني كنت متسكعا. أليس كذلك؟ ■

(دومينيك ميرل كاتب ومستشار سياحي من مونتريال، ويعترف بأنه متسكع مدى الحياة)

سبعة أشياء ينبغي (أو لا ينبغي) عليك عملها في بروكلين

1 – تناول شريحة من بيتزا نيويورك التقليدية، إنها رقيقة جداً بحيث يمكنك أكل ثلاث.

2 – اعترض على الناس الذين ينتقلون من مانهاتن دافعين بأسعار السكن إلى الإرتفاع.

3 – اذهب إلى جزيرة كوني وتكلّم عن روعة المكان في الماضي.

4 – بالغ في ذكر عدد المشاهير الذين وُلدوا هنا. اطرح اسم أيّا تشاء.

5 – لا تهتم بمظهرك، وإلا اعتقد الناس أنك متسكع.

6 – لا تذهب مطلقاً إلى نيوجرسي، باستثناء زيارة الأقارب المقرّبين الذين لم ترهم لما لا يقلّ عن 3 سنوات.

شقق ذات واجهة من الأحجار البنية في بارك سلوب
Typical brownstone apartments in Park Slope

دردشة نسوية في شاطئ برايتون
Ladies chatting at Brighton Beach